تنوير الصين بفكر استشرافي*

يعطي العصر الجديد معنى خاصا للزمن. وقد كان هذا صحيحا بشكل خاص بالنسبة للصين خلال الفترة من عام ٢٠١٢ إلى عام ٢٠١٧.

وتحت القيادة القوية للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، ونواتها الرفيق شي جين بينغ، حققت الصين إنجازات تاريخية وشهدت تغييرات تاريخية في قضية الحزب والدولة منذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني في عام ٢٠١٢، مما دشن عصرا جديدا للاشتراكية ذات الخصائص الصينية.

في صباح ١٨ أكتوبر ٢٠١٧، في قاعة الشعب الكبرى ببكين، أعلن الأمين العام للجنة الحزب المركزية شي جين بينغ للعالم رسميا خلال المؤتمر الوطني التاسع عشر للحزب الشيوعي الصيني "بعد عقود من العمل الشاق، عبرت الاشتراكية ذات الخصائص الصينية العتبة ودخلت عصرا جديدا".

وفي هذا المؤتمر، الذي عُقد في سياق العصر الجديد، تم إقرار أفكار شي جين بينغ حول الاشتراكية ذات الخصائص الصينية في العصر الجديد بوصفها الأيديولوجيا التوجيهية للحزب.

وبعد الدورة الكاملة السادسة للجنة المركزية الثامنة عشر للحزب الشيوعي الصيني، التي أقرت مكانة شي كنواة للجنة المركزية للحزب، كرّس المؤتمر كذلك مكانته القيادية المحورية في دستور الحزب الشيوعي الصيني.

وكما أشار أحد المراقبين، فإن إقرار المكانة المحورية لشي جين بينغ في لجنة الحزب المركزية وفي الحزب ككل، وإقرار الدور التوجيهي لأفكار شي جين بينغ حول الاشتراكية ذات الخصائص الصينية في العصر الجديد، يدلان على أن هذا الحزب الماركسي أصبح أكثر نضجا وصلابة ووحدة وكفاءة.

* تم نشر النسخة الصينية من المقال من قبل وكالة أنباء «شينخوا» في يناير ٢٠١٨.

عصر جديد يبني على الماضي ويصنع المستقبل

قال شي بثقة عندما التقى الصحفيين الصينيين والأجانب بعد أسبوع من إعادة انتخابه أمينا عاما للجنة الحزب المركزية إنه "في العصر الجديد، يجب أن نتخذ مظهرا جديدا، والأهم من ذلك، أن نحقق نجاحا أكبر".

وبرسم مسار النهضة الوطنية عبر حلم الصين، حددت الصين مسارها من خلال الهدفين المئويين، ووضعت إطارا تنمويا شاملا من خلال الترتيب الشامل للتكامل الخماسي، وحددت مخططها الإستراتيجي من خلال الشوامل الأربعة.

وتقود البلاد التحول الاقتصادي من خلال فلسفة تنموية جديدة، كما تتصور مستقبل البشرية من خلال مفهوم مجتمع المستقبل المشترك.

ومنذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، راقبت لجنة الحزب المركزية، ونواتها الرفيق شي جين بينغ، التغييرات العالمية بدقة واستفادت من الاتجاه السائد للتنمية.

واستجابة للظروف الجديدة والمتطلبات العملية، عالجت بصورة منهجية السؤال الكبير للعصر: أي نوع من الاشتراكية ذات الخصائص الصينية يتطلبه العصر الجديد، وكيف يجب التمسك بها وتطويرها. وقد توجت هذه العملية بإقرار أفكار شي جين بينغ حول الاشتراكية ذات الخصائص الصينية في العصر الجديد.

وباعتبارها أحدث إنجاز في تكييف الماركسية مع السياق الصيني، تقف أفكار شي جين بينغ حول الاشتراكية ذات الخصائص الصينية في العصر الجديد كمنارة على طريق النهضة الوطنية. وتوفر دليلا واضحا للعمل وتضخ حيوية جديدة في الاشتراكية العلمية في الصين في القرن الحادي والعشرين.

ويتطلب تحقيق ذلك قيادة قوية لتوجيه الرحلة المقبلة.

وقال شي إن "حزبنا قادر بالقدر نفسه على قيادة الشعب لقيادة ثورة اجتماعية عظيمة والمشاركة في إصلاح ذاتي كبير. فممارسة الحوكمة الكاملة والصارمة للحزب هي رحلة ليس لها نهاية. ويجب ألا نتسامح أبدا مع فكرة إبطاء وتيرتنا أو التوقف لأخذ قسط من الراحة".

في ٢٥ أكتوبر ٢٠١٧، في القاعة الشرقية لقاعة الشعب الكبرى في بكين، ظهر الأعضاء المنتخبون حديثا في اللجنة الدائمة للمكتب السياسي للجنة المركزية التاسعة عشر للحزب

الشيوعي الصيني لأول مرة أمام الجمهور. وجسدت كلمات شي الحازمة الشخصية الصلبة والقوة الهائلة للشيوعيين الصينيين في سعيهم الدؤوب لتحقيق حوكمة فعالة.

ومنذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، مارست لجنة الحزب المركزية ونواتها الرفيق شي جين بينغ، حوكمة كاملة وصارمة للحزب، وجعلت ذلك رافعة أساسية لتعزيز أجندة الحوكمة الوطنية الأوسع.

لقد تحولت حملة مكافحة الفساد إلى موجة ساحقة، ويجري العمل على توطيدها وتطويرها، الأمر الذي وحد الحزب والشعب الصيني وألهمهما كما لم يحدث من قبل.

وخلال الشهرين التاليين بعد المؤتمر الوطني التاسع عشر للحزب الشيوعي الصيني، تم وضع العديد من المسؤولين على مستوى المقاطعات والوزارات قيد التحقيق بسبب مخالفات انضباطية، مما أرسل رسالة واضحة بأن المعركة ضد الفساد لن تنتهي.

ويعتمد نجاح الصين على الحزب. ومنذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، أصبح التمسك بالقيادة الشاملة للحزب وتعزيزها مبدأ توجيها لتحديد المسار ونهجا عمليا للحوكمة.

وعند التأمل في هذه الرحلة التاريخية، شهد الشعب حزبا ظل وفيا لرسالته الأصلية وثابتا في مسؤولياته، كما رأوا شي، بوصفه قائد العصر الجديد، يجسد في حوكمته هدوء العزيمة وقوة الإحساس بالواجب.

وقد أُدرج المبدأ المهم القائل بأن "الحزب يمارس القيادة الشاملة على جميع مجالات العمل في كل أنحاء البلاد" في دستور الحزب الشيوعي الصيني المعدل، مما وفر ضمانة سياسية صلبة لفتح آفاق جديدة للاشتراكية ذات الخصائص الصينية في العصر الجديد.

وبرؤية تسعى إلى الإنجازات الدائمة، يظل الحزب الشيوعي الصيني الذي مضى على تأسيسه قرن من الزمن نابضا بالحياة ومليئا بالحيوية.

وسيظل عام ٢٠١٧ مذكورا في التاريخ: من إنشاء منطقة شيونغآن الجديدة، وهو مشروع ذو أهمية دائمة، إلى العرض العسكري في قاعدة تدريب تشوريخه بمناسبة الذكرى التسعين لتأسيس جيش التحرير الشعبي؛ ومن استضافة منتدى الحزام والطريق للتعاون الدولي في بكين إلى قمة بريكس في شيامن، وصولا إلى المؤتمر الوطني التاسع عشر للحزب الشيوعي الصيني المرتقب بشدة.

وفي غضون ما يزيد قليلا على شهر، سيحيي العالم الذكرى الـ١٧٠ لنشر البيان الشيوعي. وتنبأ هذا العمل البارز بدور الشيوعيين بوصفهم أولئك الذين، في حركة الحاضر، "يمثلون أيضا مستقبل تلك الحركة ويعتنون به".

عصر جديد من التقدم الثابت

قال شي "يجب علينا أن نعمل بعزم وإصرار، وأن نكافح لكتابة فصل رائع في رحلتنا الجديدة نحو التحديث الاشتراكي".

وفي السعي نحو الرخاء المعتدل، كان رفع مستوى معيشة السكان الريفيين أمرا حاسما.

وقال شي إنه "على طريق التخفيف من حدة الفقر، لا ينبغي ترك أي أسرة خلف الركب ولا يجب التخلي عن أي فرد".

وباعتباره خطوة محورية لتحقيق تحديث الصين، أصبح هدف بناء مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل في مرحلة العد التنازلي النهائي.

ولا يقتصر ذلك على معالجة أوجه القصور في المعارك الثلاث الحاسمة ضد الفقر والتلوث والمخاطر المحتملة، بل يشمل أيضا تعزيز التقدم الشامل من خلال الترتيب الشامل للتكامل الخماسي. كما يوازن بين تنفيذ التخطيطات الإستراتيجية الطموحة وبين الجهود الرامية إلى تحسين واقع الحياة اليومية في الصين عبر تغييرات صغيرة ذات أثر ملموس.

وتسارع التحديث في الصين بوتيرة غير مسبوقة، إذ أصبح اقتصادها الرقمي الآن ثاني أكبر اقتصاد رقمي على مستوى العالم، وتتصدر التجارة الإلكترونية عالميا، كما تحظى القطارات الفائقة السرعة والدراجات التشاركية بشهرة دولية.

كما تحققت إنجازات تكنولوجية رائدة بسرعة، مثل الإطلاق الناجح للمختبر الفضائي "تيانقونغ-٢"، وتشغيل الغواصة المأهولة لأعماق البحار "جياولونغ"، والتلسكوب الراديوي الكروي ذي الفتحة البالغة ٥٠٠ متر (فاست) "تيانيان"، وإطلاق القمر الصناعي لاستكشاف جسيمات المادة المظلمة "ووكونغ"، والقمر الصناعي العلمي الكمومي "موتسي".

ويواصل التحديث في الصين في إضفاء رموز ومعان جديدة على العصر.

ويخوض بلد شاسع يزيد عدد سكانه على ١,٣ مليار نسمة واحدة من أعظم وأوسع رحلات

التحديث في تاريخ البشرية.

وأعلن شي في تقريره إلى المؤتمر الوطني التاسع عشر للحزب الشيوعي الصيني "لا يجب علينا فقط إكمال بناء مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل وتحقيق الهدف المئوي الأول، بل يجب أيضا البناء على هذا الإنجاز للشروع في رحلة جديدة نحو الهدف المئوي الثاني المتمثل في بناء دولة اشتراكية حديثة على نحو شامل".

وخلال المسيرة الجديدة في العصر الجديد، تمثل ثلاثة أهداف منارات إرشادية مشرقة: إكمال بناء مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل بحلول عام ٢٠٢٠، وتحقيق الهدف المئوي الأول؛ وتحقيق التحديث الاشتراكي بشكل أساسي بحلول عام ٢٠٣٥؛ وتطوير الصين لتصبح دولة اشتراكية حديثة قوية ومزدهرة وديمقراطية ومتحضرة ومتناغمة وجميلة بحلول منتصف القرن الحادي والعشرين.

عندما يحدد حزب سياسي أو دولة ذكرى مئوية بوصفها محطة مفصلية، فإن ذلك يعكس رؤية طويلة الأمد للرحلة المقبلة. وبتوجيه من الشعور بالمسؤولية وبنهج إستراتيجي، يكون السعي وراء الحلم الوطني العظيم مدفوعا دائما بالالتزام بترك إرث دائم.

وقد لاقت الفلسفة التنموية الجديدة صدى عميقا لدى الشعب، وتواصل الديمقراطية الاشتراكية تطورها، ويزداد حلم الصين الجميلة اخضرارا، كما تستمر ثقافة الاشتراكية ذات الخصائص الصينية في إلهام الابتكار والإبداع.

وستتفتح آفاق جديدة لتحديث الصين.

قبل أكثر من ثلاث سنوات، في مركز التصميم والبحوث التابع لشركة الطائرات التجارية الصينية في شانغهاي، صعد شي على متن نموذج عرض لطائرة الركاب سي٩١٩، وحث على بذل الجهود لتمكين طائرة الركاب الكبيرة المطورة محليا في الصين من التحليق بحرية في السماء الزرقاء في أقرب وقت ممكن.

وفي ١٧ ديسمبر ٢٠١٧، بعد ستة أشهر فقط من الرحلة التجريبية الأولى الناجحة لطائرة سي٩١٩، حلقت طائرة سي٩١٩ الثانية في السماء، مما شكل بداية مرحلة جديدة من الاختبار الشامل وتجارب الطيران للطائرة الكبيرة المصنعة محليا في الصين.

ومن قطارات فوشينغ فائقة السرعة التي تتقاطع خطوطها إلى إطلاق حاملة الطائرات المبنية محليا في الصين، ومن تحليق طائرة الركاب الكبيرة المطورة محليا إلى الرحلة الأولى للطائرة

البرمائية إيه جي ٦٠٠، تكتب الصين في العصر الجديد بسرعة فصلا جديدا في مسيرتها نحو التحديث، حيث يعكس كل إنجاز تقدمها اللافت.

عصر جديد يضع الشعب في المقام الأول

قال شي جين بينغ "ما دمنا نحافظ على روابط وثيقة مع الشعب ونعتمد عليه، يمكننا وسيكون لدينا قوة لا حدود لها للمضي قدما، مهما كانت الظروف".

وبعد أن أمضى سنوات من شبابه في ريف الصين، يظل شي متمسكا بالقناعة السياسية المتمثلة في "خدمة الشعب عبر أفعال ملموسة". وتعكس فلسفته التنموية المتمحورة حول الشعب رؤية الحوكمة في العصر الجديد.

في ٢١ يونيو ٢٠١٧، زار شي قرية تشاوجياوا، وهي قرية نائية في هضبة اللوس التي تقع في منطقة جبال ليوليانغ في مقاطعة شانشي بشمالي الصين.

وجلس على حافة "الكانغ"، وهو سرير مبني بالطوب يُدفأ بالنار، وتبادل الحديث بحرارة مع القرويين. كما انحنى قرب الحقول ليتفقد نمو الذرة والفاصولياء، وسأل المسؤولين المحليين عن خططهم للتخفيف من حدة الفقر.

وقال شي إن "سياسات لجنة الحزب المركزية تجاه المناطق الريفية والمزارعين تدور جميعها حول 'العطاء'. وهذا يعكس التزامنا بفلسفة تنموية متمحورة حول الشعب وتسخير مزايا النظام الاشتراكي لمعالجة المهام الكبرى".

وبعد خمسة أشهر، أصدر المكتبان العامان للجنة الحزب المركزية ومجلس الدولة مبادئ توجيهية لدعم المناطق الأشد فقرا في معركة القضاء على الفقر. ونصت الوثيقة على أن الأموال والمشاريع والمبادرات المُخصصة حديثا للقضاء على الفقر سيتم توجيهها أساسا إلى هذه المناطق الأكثر تضررا.

وقد سافر شي إلى جميع المناطق الأربع عشرة المتجاورة التي تعاني من الفقر المدقع في الصين، وزار الأشخاص الفقراء حقا، وقدم لهم مساعدة حقيقية، ودفع قدما مبادرات كبرى.

ومنذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، شهدت الصين تحسينات ملموسة في شعور الجماهير بالمكاسب والسعادة، وتقدما حاسما في التخفيف من حدة الفقر،

وتوزيعا تدريجيا في الخدمات العامة الأساسية، وظهور أكبر مجموعة متوسطة الدخل في العالم.

ومن دعوة الزعيم الصيني الراحل ماو تسي تونغ إلى "خدمة الشعب" في يانآن عام ١٩٤٤ إلى دعوة شي إلى فلسفة تنموية متمحورة حول الشعب، ظل الشيوعيون الصينيون يقفون بثبات مع الشعب، ويجعلون مصالحه أساسا لجهودهم.

وهذا يجسد المنطق السياسي الأساسي الذي دفع الحزب الماركسي من نصر إلى آخر.

وقال شي في تقريره إلى المؤتمر الوطني التاسع عشر للحزب الشيوعي الصيني إن "الغاية الأصلية والمهمة للشيوعيين الصينيين هما السعي لتحقيق السعادة للشعب الصيني والنهضة للأمة الصينية".

ومن التركيز على "النمو المادي" إلى إعطاء الأولوية "للإنصاف والعدالة"، ومن تلبية "احتياجات البقاء الأساسية" إلى التركيز على "تحقيق الذات"، فإن الالتزام الراسخ بمعالجة الآلام والصعوبات التي يواجهها الشعب حقا يعكس تفاني الحكومة في تحقيق تطلعاته.

ويعمل الحزب من أجل الشعب ويعتمد عليه في جميع مساعيه. وتتوطد باستمرار القاعدة السياسية لحكمه، بينما تنمو القوة الهائلة لمئات الملايين من الشعب بشكل متواصل في تحقيق حلم الصين المتمثل في النهضة الوطنية.

وتُدمج محركات النمو الجديدة في القضايا التي تهم الشعب أكثر من غيرها. كما أن معالجة "المسائل الصغيرة" المرتبطة بمعيشة الشعب تعد في الواقع عنصرا أساسيا لدفع التنمية الاقتصادية عالية الجودة.

وفي مؤتمر العمل الاقتصادي المركزي لعام ٢٠١٧، وهو أول اجتماع وطني يعقده الحزب بعد المؤتمر الوطني التاسع عشر للحزب الشيوعي الصيني، جرى وضع ترتيبات جديدة، بما في ذلك تحسين خدمات رعاية الأطفال والتعليم في مرحلة الطفولة المبكرة، ومعالجة التمييز على أساس النوع الاجتماعي والهوية، والتصدي لقضايا ملحة مثل الاحتيال عبر الإنترنت والاتجار بالبيانات الشخصية.

إن التركيز المتكرر على هذه "المسائل الصغيرة" المتعلقة بمعيشة الشعب في مثل هذا الاجتماع المحوري الذي يضع التوجهات الرئيسية للسياسات الاقتصادية، يؤكد حدوث تحول مهم في فلسفة التنمية في العصر الجديد.

"لقد تطور التناقض الرئيسي الذي يواجه المجتمع الصيني. فما نواجهه الآن هو التناقض

بين التنمية غير المتوازنة وغير الكافية وبين احتياجات الشعب المتزايدة دائما لحياة أفضل". كان هذا استنتاجا رئيسيا في التقرير المقدم إلى المؤتمر الوطني التاسع عشر للحزب الشيوعي الصيني.

ومن اللافت أن التقرير لم يذكر الناتج المحلي الإجمالي أو غيره من المؤشرات الكمية، وهو تحول يراه الكثيرون كتغيير أساسي في نهج وفلسفة التنمية للصين.

وفي هذا العصر الجديد، ابتعد اقتصاد الصين، الموجه بمبدأ التنمية عالية الجودة، عن إعطاء الأولوية "للنمو الكمي" باتجاه "تلبية المطالب الجديدة للشعب"، مما يمثل فصلا جديدا وواعدا في تنميتها.

عصر جديد من المشاركة العالمية

قال شي جين بينغ إن "تقديم إسهامات جديدة وأكبر للبشرية هي المهمة الدائمة لحزبنا". ويعكس هذا الإعلان الجاد لشي في المؤتمر الوطني التاسع عشر للحزب الشيوعي الصيني الشعور العميق بالمسؤولية لدى أكبر حزب سياسي في العالم تجاه الصالح العام للبشرية.

وبعد أكثر من شهر بقليل، في الاجتماع الرفيع المستوى للحوار بين الحزب الشيوعي الصيني والأحزاب السياسية العالمية، شرح شي التزامات الحزب الشيوعي الصيني العالمية، مؤكدا على المساهمات في "السلام والاستقرار" العالميين، و"التنمية المشتركة للجميع"، و"الإثراء المتبادل بين الحضارات".

ولم يكن تركيز العالم على الصين في أي وقت مضى كما هو عليه اليوم، كما لم يكن تأثير الصين على العالم بهذا الاتساع كما هو الآن.

ومنذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، طرح شي، برؤيته الواسعة وبصيرته الإستراتيجية، سلسلة من الأفكار والمفاهيم والمبادرات الجديدة المتعلقة بمستقبل البشرية. وأصبحت هذه راية مميزة لدور الصين في توجيه الاتجاهات العالمية ودفع تقدم الحضارة البشرية.

ومن بينها الدعوة إلى بناء مجتمع المستقبل المشترك للبشرية، وإنشاء نمط جديد للعلاقات الدولية قائم على التعاون المربح للجميع، وطرح مبادرة الحزام والطريق، وصياغة مبدأ التمسك بالعدالة مع السعي إلى تحقيق المصالح المشتركة.

وأجرى شي ٢٩ زيارة خارجية على مدى خمس سنوات، شملت ٥٧ دولة ومنظمة دولية وإقليمية رئيسية عبر خمس قارات، وبلغ مجموع المسافات التي قطعها ما يعادل الدوران حول الأرض ١٤ مرة. وخلال الفترة نفسها، عقد حوالي ٢٩٠ اجتماعا مع رؤساء دول وقادة حكومات أجانب في الصين.

وقد أعادت هذه الأجندة الدبلوماسية المكثفة تعريف موقع الصين على الساحة العالمية.

ومن قصر أننبرغ إلى يينغتاي، ومن البيت الأبيض إلى البحيرة الغربية، ومن مارالاغو إلى المدينة المحرمة، أسهمت دبلوماسية رؤساء الدول في ضمان الاستقرار الإستراتيجي للعلاقات الصينية الأمريكية.

وعزز أكثر من ٢٠ لقاء بين رئيسي الصين وروسيا التنسيق الإستراتيجي. كما تتعاون الصين مع الدول المجاورة لبناء مجتمع المستقبل المشترك.

وابتكرت الصين نهجا جديدا لتطوير العلاقات بين الدول، يقوم على التواصل وليس المواجهة، وعلى الشراكة وليس التحالف.

ومن خلال سلسلة من الفعاليات الدبلوماسية البارزة التي استضافتها على أرض الوطن، لم تظهر الصين مكانة شي كقائد عالمي بارز فحسب، بل عرضت أيضا خصائصها الصينية الفريدة وأسلوبها ورؤيتها.

وفي مقابل الاضطراب السياسي والانقسامات الاجتماعية المتزايدة التي تشهدها بعض الدول الغربية، يرى عدد متزايد من المراقبين الدوليين أن مسار التنمية في الصين قد أثرى الممارسات العالمية ووسع الخيارات المتاحة أمام الدول النامية لتحقيق التحديث.

وفي الآونة الأخيرة، جذب خبر قيام دولة غرينادا الجزرية الكاريبية بدعوة الصين للمساعدة في صياغة مخططها الوطني للتنمية اهتماما واسع النطاق. وتعمل مؤسسة صينية الآن على إعداد إستراتيجية تنموية وطنية مصممة خصيصا لغرينادا.

وأن توكل دولة ما مثل هذه الخطة الحاسمة لمستقبلها إلى مؤسسة تبعد آلاف الأميال لا يعكس الثقة فحسب، بل أيضا الاعتراف بإنجازات التنمية في الصين وبنموذج نموها.

قال شي "إننا لا نريد 'استيراد' نماذج من دول أخرى، ولا نريد 'تصدير' النموذج الصيني، ولن نطلب من دول أخرى نسخ الممارسة الصينية بأي حال من الأحوال". وألهمت كلمات شي هذه الدول النامية لتنطلق بثقة في مساراتها الخاصة للتنمية.

وذكر شي أن "السعي نحو الحمائية يشبه حبس المرء لنفسه في غرفة مظلمة"، مضيفا "ستبقي الصين بابها مفتوحا على مصراعيه ولن تغلقه".

وفي يناير ٢٠١٧، قدم الرئيس شي، أول رئيس صيني يحضر منتدى دافوس، توجهات حاسمة لعملية العولمة.

ويرى مراقبون أنه في ظل تصاعد المشاعر المناهضة للعولمة، تُعد آراء الرئيس شي بيانا حاسما بشأن العولمة الاقتصادية، وليس من المبالغة وصفها بأنها توافق عالمي جديد.

وقد عقدت مبادرة الحزام والطريق، وهي مسار للتعاون القائم على الربح المشترك والمنبثقة من أعماق التاريخ، أول تجمع عالمي لها في بكين عام ٢٠١٧ بعد أكثر من أربع سنوات من الجهود المتضافرة من جميع الأطراف. ودفعت أكثر من ٢٧٠ نتيجة هذه المبادرة نحو مستقبل أكثر إشراقا.

ومن تأسيس البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية، إلى إدراج الرنمينبي في سلة حقوق السحب الخاصة لصندوق النقد الدولي، وإطلاق بنك التنمية الجديد لبريكس، تطورت الصين من مشارك في النظام الدولي إلى مزود بالسلع العامة و"محرك" للتغيير في مشهد التعاون العالمي الناشئ.

وإدراكا لأهمية الانفتاح لمستقبل الأمة ومصيرها، أعلن الزعيم الصيني للعالم "ستفتح الصين أبوابها على نطاق أوسع وستقدم تنميتها فوائد أكبر لبقية العالم".

ومع التمسك بالتنمية السلمية والسعي إلى مفهوم "العالم أسرة واحدة"، تقود رؤية الصين مستقبل التقدم البشري.

ومن طرح بناء مجتمع المستقبل المشترك للبشرية إلى بلورة أفكار مثل "من يحاول إطفاء مصباح زيت الآخرين سيحرق لحيته"، وإنشاء منصات مثل مبادرة الحزام والطريق، اكتسبت رؤية وجهود الرئيس شي لتعزيز مجتمع المستقبل المشترك للبشرية اعترافا متزايدا في جميع أنحاء العالم.

ووصف مارتن جاك، الباحث البريطاني في جامعة كامبريدج، ذلك بأنه عمل ريادي غير مسبوق وإبداع عظيم لتغيير العالم.

وقال شي "إننا جميعا نعيش تحت السماء نفسها، ونتشارك كوكبا واحدا هو موطننا، وننتمي إلى الأسرة نفسها".

عصر جديد يشكل ملامح الغد

بعد المؤتمر الوطني التاسع عشر للحزب الشيوعي الصيني في عام ٢٠١٧، أبحرت لجنة الحزب المركزية المنتخبة حديثا مرة أخرى، حاملة مهمة تحقيق النهضة العظيمة للأمة الصينية، لقيادة الصين قدما إلى الأمام.

الإصلاح، وهو مصطلح مألوف لكل مواطن صيني، يحمل أهمية تاريخية عميقة وآثارا بعيدة المدى بالنسبة للصين وهي تدخل عصرا جديدا.

في عام ٢٠١٨، ستحتفل الصين بالذكرى الأربعين لإطلاق سياسة الإصلاح والانفتاح.

وفي اللحظات الحاسمة، يعد استعادة التاريخ واستخلاص الدروس منه أفضل السبل لاستقبال عصر جديد والشروع في رحلة جديدة.

قبل أربعين عاما، وضعت سياسة الإصلاح والانفتاح الجريئة وغير المسبوقة الصين على طريق اللحاق بالاتجاهات العالمية. وفي غمضة عين، ارتقت الصين لتصبح ثاني أكبر اقتصاد في العالم، مع نمو مستمر للقوة الوطنية وتحسينات كبيرة في معيشة الشعب.

وقال شي إن "الإصلاح والانفتاح يلعبان دورا حاسما في تحديد مصير الصين المعاصرة. كما إنهما المفتاح لتحقيق الهدفين المئويين والنهضة العظيمة للأمة الصينية".

وبعد المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، كانت أول جولة تفقدية له خارج بكين إلى شنتشن، وهي طليعة الإصلاح والانفتاح، حيث أعلن أن "الإصلاح والانفتاح عملية مستمرة لا نقطة نهاية لها".

وبصفته رئيس المجموعة القيادية المركزية لتعميق الإصلاح على نحو شامل، قاد شي شخصيا هذه العملية من خلال التخطيط للإصلاحات الكبرى، ومراجعة المقترحات الرئيسية، وتنسيق الخطوات الحاسمة، والإشراف على تنفيذها.

وعلى مدى السنوات الخمس الماضية، تحققت اختراقات كبيرة في إصلاح مجالات رئيسية مثل الموافقات الإدارية والجيش والمؤسسات المملوكة للدولة والأراضي الريفية.

وبعزيمة راسخة لمعالجة أصعب التحديات والقضايا الداخلية، تم تنفيذ أكثر من ٣٦٠ خطة إصلاح رئيسية وأكثر من ١٥٠٠ إجراء إصلاحي، مما أوجد إطارا شاملا للإصلاح عبر جميع القطاعات الحيوية.

ويرسم الحزب الشيوعي الصيني تصورا لمستقبل طويل الأمد وإستراتيجية أكبر وأفكارا أكثر تقدما.

وقال شي "إنني على قناعة بأن نهضة الأمة الصينية ستصبح حقيقة واقعة في سياق الإصلاح والانفتاح". عند إعادة انتخابه أمينا عاما للجنة الحزب المركزية، صرح شي بذلك للصحفيين الصينيين والأجانب، مطلقا دعوة جريئة للتخطيط لجولة جديدة من الإصلاح والانفتاح ودفعها قدما.

وفي ٤ نوفمبر ٢٠١٧، وافقت الدورة الثلاثون للجنة الدائمة للمجلس الوطني لنواب الشعب الثاني عشر على قرار بإطلاق إصلاحات تجريبية في نظام الرقابة الوطني، وهي خطوة إستراتيجية كبرى لتعزيز الحوكمة الذاتية الكاملة والصارمة للحزب.

كما أن هناك مبادرات رئيسية جارية التنفيذ، مثل تعميق الإصلاحات الهيكلية لجانب العرض وتعزيز التنمية الاقتصادية عالية الجودة، وتوسيع البرنامج التجريبي لإصلاح حقوق الملكية الجماعية الريفية من ١٢٩ إلى ٣٠٠ منطقة في عام ٢٠١٨ وتنفيذ إستراتيجية النهوض الريفي، والتخفيف قيود دخول السوق لتسريع تشكيل مشهد اقتصادي جديد وأكثر انفتاحا.

وبينما تسير الصين بخطى واسعة نحو عصر جديد، ستواصل الأمة دفع الإصلاح والانفتاح بطاقة متجددة وعزيمة راسخة، موجهة الزخم الذي لا يمكن وقفه لمسيرة التقدم.

وقد رسم المؤتمر الوطني التاسع عشر للحزب الشيوعي الصيني مخططا كبيرا لبناء الصين المزدهرة والقوية، مما أشعل موجة من الحماس لريادة الأعمال في جميع أنحاء البلاد.

وفي مواقع بناء منطقة شيونغآن الجديدة، وعلى منصات الحفر في حقل داتشينغ النفطي، وعند لوحة التحكم في التلسكوب اللاسلكي (فاست)، وعلى متن قطارات الشحن السريعة بين الصين وأوروبا، وعبر المدن والقرى... في كل مكان تتجلى روح "التشمير عن السواعد والعمل بجد" بكامل قوتها.

فالطريق تحت أقدامنا، والعمل الدؤوب يبني أمة قوية.

وبينما تدخل إصلاحات الصين مياها غير مستكشفة، فإن كل خطوة إلى الأمام تطرح تحديات أكبر، ما يتطلب ثقة لا تتزعزع وشجاعة لا تقهر، دون أي مجال للشعور بالرضا عن النفس.

في عام ١٩٢١، من القارب الأحمر الصغير الذي اختتم فيه الحزب الشيوعي الصيني مؤتمره الوطني الأول، وحّد الحزب الشعب الصيني وقاده، مخترقا ضباب التاريخ ومبحرا نحو النهضة

العظيمة للأمة الصينية.

وبعد أسبوع من اختتام المؤتمر الوطني التاسع عشر للحزب الشيوعي الصيني، أعاد شي، برفقة أعضاء اللجنة الدائمة للمكتب السياسي للجنة الحزب المركزية، زيارة القارب الأحمر في بحيرة نانهو، مؤكدا التزام الحزب الراسخ مع شروع الصين في دخول العصر الجديد.

وقال إنه "ما دمنا نعمل كشخص واحد وبأقصى طاقاتنا، فإننا سنركب الرياح والأمواج بكل تأكيد".

ومع انكشف معالم عصر جديد، تبدأ رحلة جديدة.